

حديث السحر في القرآن

كلمة « السحر » لفظة تكاد تسحرنا بكثرة معانيها ، وتلون مغازيها ، فقد تطلق على دقة الفعل . وقد تطلق على قوة التأثير ، فقد قالوا : إن الطبيعة ساحرة ، وتحدثوا عن سحر العيون وسحر الجمال ، وسماوا الغذاء سحراً لأنه يلطف تأثيره ، وقال سيد البلغاء رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من البيان لسحراً » أى منه ما يصرف قلوب السامعين إليه ، وإن كان غير حق ، وقيل : معناه إن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره ، فيكون بمعرض الدم ، وقيل : يجوز أن يكون في معرض المدح ، لأنه يستمال به القلوب ، ويُترضى به الساخط ، ويُستزل به الصعب .

ويقال : سحره ، أى صرفه عن وجهه وخدعه ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف : « وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ » (الآية ١٣٢) . وقوله في سورة المؤمنون : « قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ؟ » (الآيتان ٨٨ ، ٨٩) . أى فكيف تصرفون عن الحق وتخدعون ؟

وأصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه ، أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها ، وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل في صورة الحق ، وخيل الشيء على غير حقيقته ، فقد سحر الشيء عن وجهه ، أى صرفه .

والسحر - عند العلماء - عمل يتقرب فيه صاحبه إلى الشيطان ، ويستعين بالشيطان فيه ، لإخراج الباطل في صورة الحق ، بدقة صنع ولطف مأخذ ، وقد ورد ذكر « السحر » في القرآن الكريم كثيراً بمعنى الخداع والتخيل ، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الأنعام : « وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ » (الآية ٧) . أى تخيل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس .

ويقول القرآن في سورة يونس : « فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ » (الآية ٧٦) . وفي سورة هود : « وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَعُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ » (الآية ٧) .

ولأن السحر يقوم على التمويه والتضليل قال القرآن في سورة طه : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ويعلق أحد المفسرين بقوله : إن الساحر لا يفلح أى ذهب ، وفي أى طريق سار ، لأنه يتبع تخيلاً ويصنع تخيلاً ، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية ، شأنه شأن كل مبطل أمام القائم على الحق المعتمد على الصدق .

ويعرف مفسر القرآن السحر بأنه قول أو فعل يترتب عليه أمر خارق للعادة ، ويعتمد على وسائل من الرقى والعزائم ، وما أشبهها . ولقد تحدث الرازى المفسر المشهور عن أنواع السحر ، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، وسحراً يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية . ويقصد بها الجن ، وسحر التخيلات والأخذ بالعيون ، لأن المشعبد الحاذق يظهر عمل

شيء يشغل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديث نحوه ، عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة ، فيبقى ذلك العمل خفياً ، لتفاوت الشئين : اشتغالهم بالأمر الأول ، وسرعة الإتيان بهذا العمل الثاني ، « حينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه ، فيمتعجون منه جداً ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الحواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجها ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم إن المشعب يأخذ بالعيون ، لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها ، وكلما كان أخذه للعيون والحواطر ، وجده لها إلى سوى مقصوده أقوى ، كان أحذق في عمله .

وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد ، كان هذا العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعب في موضع مضى جداً ، فإن الضوء الشديد يفيد البصر كلالاً واختلالاً ، وكذا الظلمة الشديدة ، وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالاً واختلالاً ، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها .

ويضيف الإمام الرازي ما يسميه سحر الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة ، وهناك سحر الاستعانة بخواص الأدوية ، كاستعمال بعض الأدوية المريلة للعقل ، أو التي تسبب تلبد الذهن ، وهناك سحر « تعليق القلب » بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف « الاسم الأعظم » فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ، ويتعلق قلبه به ، فيتحكم فيه الساحر ، ويوجهه إلى ما يشاء ، وهناك سحر السعى بالسحرة والوقعة بوجوه لطيفة خفيفة .

وإذا كان الإمام الأصفهاني يجعل أنواع السحر ثلاثة في كتابه « مفردات

القرآن » ، وهي أولا الخداع والتخييلات ، وثانياً استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه ، وثالثاً ما كان بقوة تغير الصور والطابع ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين...إذا كانت أنواع السحر عند الأصفياء ثلاثة ، فإن المفسر الجليل ابن كثير يجعلها ثمانية ، هي :

١ - سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتي بالخير والشر .

٢ سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، لأن الوهم هو الذى يؤثر فى الإنسان ، فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشى عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه ، والنفوس خلقت مطيعة للأوهام .

٣ - سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية ، وهم الجن ، ومنهم كفار ومؤمنون ، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية : لما بينهما من المناسبة والقرب ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

٤ سحر الشعبة والأخذ بالعيون ، وإذهال أذهان الناظرين ، مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن الكريم فى قوله : « فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » (الآية ١١٦ من سورة الأعراف) وقوله : « يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَعُ » . (طه الآية ١٦)

٥ - سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد ، واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة ، ومن هذا القليل ما ذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون ، حيث عمدوا إلى حبالهم وعصيهم فحشوها زنبقاً . وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة ، فصارت تلتوى بسبب ما فيها

من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائي أنها تتحرك وتسعى باختيارها .

٦ - سحر الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة .

٧ - سحر تعليق القلب ، حيث يدعى الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، عن طريق معرفة « الاسم الأعظم » فإذا اتفق أن السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، تعلق قلبه بذلك وحصل في نوعه نوع من الرعب والمخافة . فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر حينئذ أن يفعل ما يشاء

٨ - سحر السعاية والنميمة ، عن طريق التحريش بين الناس ، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به .

ونخلص من هذه التقسيمات والتفريعات إلى أن أصل السحر هو التمويه بالحيل والتخايل ، بأن يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به ، كالذى يرى السراب من بعيد ، فيخيل إليه أنه ماء ، وكراكب القاطرة السريعة يخيل إليه أن ما يقابله من الأشجار والجبال يسير بسرعة .

ففي السحر إذن معنى الخداع والخفاء ، والاستمالة والتمويه بالكذب ، وهو إما حيلة وشعوذة ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وإما تأثير نفس إنسانية في نفس أخرى ، يقول « تفسير المنار » : « وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة وسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجن ، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها ، ويكونون مسخرين للداعى . ولئلا هذا الكلام تأثير في إثارة الوهم عُرف بالتجربة ، وسببه اعتقاد الوهم أن الشياطين يستجيبون لقائله ويطيعون أمره ، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية التأثير ، وليس فيه خاصية ، وإنما تلك العقيدة الفاسدة تفعل في النفس الواهمة

ما يغني منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته ، وهذا هو السبب في اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب » .

• • •

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له ، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض ، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة ، يخلق الله عنده ما يشاء ، ومنه ما يكون بحفة اليمين ، ومنه ما يكون كلاماً محفوظاً ، ورق من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهد الشياطين ، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك .

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة ، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك ، وهو أن السحر لا حقيقة له ، بل هو إيهام لكون الشيء على غير ما هو به ، واستدلوا بقول القرآن : « يحيل إليه من سحرهم أنها تسعى » ، حيث لم يقل : تسعى حقيقة ، بل قال : « يحيل إليه » ويقول : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

ويميل « تفسير المنار » - وهو تفسير عصري عقلي يمثل مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده - إلى تكذيب السحر ، وأنه شيء منتحل ، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة ، ويضلّوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة ، وهؤلاء الدجالون ما زالوا يتلون أقساماً وعزائم ، ويخطون خطوطاً وطلسمات ، ويسمون ذلك خاتم سليمان ، ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العقاريت .

وترى هذه المدرسة العقلية في تفسير القرآن الحكيم أن السحر أعمال غريبة من التليس والحيل ، تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها ، فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه .

ويستوى في هذا أنواع السحر الثلاثة : ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها ، المجهولة عند المسحورين ، كاستعمال الزئبق في تحريك الحبال والعصى الذي روى أن سحرة فرعون قد استخدموه في سحرهم .

أو ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين في إخفاء بعض الأشياء وإظهار بعض آخر .

أو ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية في النفوس الضعيفة صاحب الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات .

وفي كتاب « في ظلال القرآن » أن القوى المجهولة في الكون كثيرة ، وقد نحس بها أو شاهد بعض آثارها ، ولكننا لا نستطيع تجلية حقائقها أو طرائقها أو كنهها . فالتويم المغناطيسى مثلا ، والتخاطب على أبعاد ومسافات ضوئية (التنبأ) ، وأحلام التنبؤ التي تقع فيما بعد كما رثيت ، من هذا الوادى . والسحر من قبيل هذه الأمور ، وتعلم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور ، وقد تكون صورة من صور القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار ، وإما في الأشياء والأجسام ، ولا مانع أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه ، فالانفعالات تنشأ من التأثيرات ، وإن كانت الوسائل والآثار ، والأسباب والمسببات ، لا تقع كنهها إلا بإذن الله .

وعلى الرغم من اختلاف الأئمة في حقيقة السحر تراهم يجمعون على أن السحر لا يؤثر بذاته في نتائج أو عواقب ، وإنما يخلق الله تعالى الأشياء المتعلقة بالسحر عند وجوده ، كما يخلق الشع عند الأكل ، والرى عند شرب الماء .

وكما تكلم السلف عن حقيقة السحر تكلموا عن حكمه :
يقول الإمام القرطبي في تفسيره : « من السحر ما يكون كفراً من فاعله ،
مثل ما يدعون من تغيير صور الناس ، وإخراجهم في هيئة بهيمة ، وقطع
مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء ، فكل من فعل هذا ليؤهم الناس
أنه محق فذلك كفر منه » .

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر ، لأنه كالمدعى للنبوة ، وكافر
بالأنبياء .

ويرى الإمام مالك والأئمة ابن حنبل والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ،
أن المسلم إذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفراً ، يقتل ولا يستتاب ولا تقبل
توبته ، لأن الله تعالى سمى السحر كفراً ، كما يقول عن الملكين المعلمين
للسحر : « وما يعلمان من أحد حتى يقولاً إنما نحن فتنه فلا تكفر » .
واستدلوا على ذلك بحديث - ضعّفه - يقول : « حد الساحر صرصة
بالسيف » .

ويقول ابن المنذر : « وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفراً
وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بيعة ، ووصفت البيعة كلاماً
يكون كفراً » .

وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله .
فإن كان أحدث في المسحور جنائية توجب القصاص اقتصر منه إن
كان تعدد ذلك ، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك » .

ويروي أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر يلعب بين يديه ، فكان
يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ،
يحيى الموتى .

ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، فلما كان الغد جاء الساحر
 مشتملا على سيفه ، وأخذ يلعب لعبه ذلك ، فرفع المهاجر سيفه ، وضرب به
 عنق الساحر ، وقال عنه : « إن كان صادقا فليحى نفسه » . وثلا قول الله
 تعالى : « أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ » ١٩ (الأنبياء الآية ٣)

• • •

وحين يدور حديث السحر فى القرآن ، يرد سؤال له أهميته فى هذا
 المجال :

أصحیح ما يزعمه بعض المفسرين أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله جل جلاله شفاه من هذا السحر ؟
 إنهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم فى سورة الفلق :
 « مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ » (الآية ٣) . وبعض المحققين يطعنون فى ذلك
 الخبر ، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة
 الرسول ، وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه ، وعلى رأس هؤلاء المنكرين
 لقصة سحر الرسول الأستاذ الإمام محمد عبده ، وله فى ذلك الموضوع
 بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ،
 ومما جاء فيه :

« قد رووا هاهنا أحاديث فى أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن
 الأعصم ، وأثر سحره فيه ، حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ،
 أو يأتى شيئا وهو لا يأتیه ، وأن الله أنباه بذلك ، وأخرجت مواد السحر من
 بشر ، وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه
 السورة (سورة الفلق) .

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام ، حتى يصل به الأمر

إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه : « إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا » (الإسراء ٤٧)

وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله ، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع ، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا ما يجب لها : إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة ! . نعوذ بالله ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من اقتراء المشركين عليه ، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك ، مع أن الذي قصده المشركون طاهر ، لأنهم كانوا يقولون : إن الشيطان يلبسه عليه السلام . وملابسة الشيطان تُعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نُسب إلى لبيد ، فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم .

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . فهو الذي يجب الاعتقاد بما يشبهه ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه . وقد جاء بنى السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فأذن هو ليس بمسحور قطعاً .

وأما الحديث - على فرض صحته - فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون .
على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أي حال فلنا - بل علينا - أن نفوض الأمر في الحديث ، ولا نحكمه في عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبديل العقل ، فإنه إذا خولط النبي في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه . . والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان

ثم إن نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقاً ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال أن يصيبه ، لأن الله عصمه منه .

وإذ كان السحر حقيقة عند من يقول من الأئمة بوجوده ، فما الحكم في علاج المسحور من السحر ؟

أجاز بعض العلماء أن يقوم الإنسان بعلاج المسحور ، عن طريق ما يسمونه « التُّشْرَة » ، وهي ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن . ويقرر الإمام ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم أن أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله في إذهاب ذلك ، وهما المعوذتان : أى سورة الفلق « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ . »

سورة الناس : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ ،
 مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْخِيَّةِ
 وَالنَّاسِ » .

ويذكر الحديث النبوي الشريف : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » .

وكذلك قراءة آية الكرسي ، فإنها طاردة للشيطان .

هذا وقد فرق مفسرو القرآن الكريم بين السحر والمعجزة ، بما يلي :

١ - السحر يمكن أن يقع من الساحر ومن غيره ، والمعجزة مقصورة
 على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٢ - المعجزة لا يمكن الله أحداً أن يأتي بمثلها أو يعارضها ، بخلاف
 السحر .

٣ السحر لا يكون معه ادعاء للنبوة ، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء
 الرسول أنه رسول من عند الله .

٤ المعجزة حق يجريه الله على يدي رسول ، والسحر تمويه وخداع
 غالباً .

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر ، أولهما يتعلق
 بالسحر في عهد سليمان ، ويتعلق بقصة هاروت وماروت ، والموقف لآخر
 يتعلق بسحرة فرعون في قصة موسى عليه السلام .

الموقف الأول جاء في شأنه قول الله تعالى في سورة البقرة : « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
 الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَما كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
 يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ ، وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَما رُوتَ ،
 وَما يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا

مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ،
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ خَلَاقٍ ، وَلَيْشَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . (الْآيَةُ ١٠٢)
يخبر الله تعالى بأن من سيئات اليهود أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
وأعرضوا عنه ، واتبعوا كتاباً صنع « آصف » كاتب النبي سليمان ، واتبعوا
سحر هاروت وماروت ، وهما ملكان كانا يعلمان الناس السحر اختبأً
وابتلاءً ، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبياً ، فكذبهم الله في ذلك ،
وأبان أن الشياطين هم الذين اقترحوا على سليمان وموهوا على الناس بالتبليس
والخداع فكانوا من الكافرين .

وكان هاروت وماروت يقولان للناس : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ،
وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه ، لا تعليم من يدعو إليه ،
ويقولان للناس : لا تفعلوا كذا ولا تحتالوا بكذا ، لتفرقوا بين المرء وزوجه .
ويرى الإمام محمد عبده أن قوله تعالى : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به
بين المرء وزوجه » لا مانع أن يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التي
تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ، ولا يبعد أن يكون مثل
هذه الطرق مما يتعلمه الناس ، ويطلبون له الأساتذة ، ونحن نرى أن
كتاباً ألفت ، ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس ، لمن يريد أن
يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، وإظهار الأمر في
أقبح صورة : أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الإفساد ،
أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ، وسياق الآية لا يأباه ، وذكر
الشياطين لا يمنعنا من ذلك . بعد أن سمي الله خبيثاء الإنس المنافقين بالشياطين .

قال : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » . وقال : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض » .

وينفى القرآن الكريم أن يقع شيء في هذا الكون إلا بإذن الله ، فيقول في الآية السابقة : « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .

ويرى الإمام الرازى عند تعليقه على عمل هاروت وماروت أن تعلم السحر أمر لا غبار عليه ، إذا لم يسبب ضرراً لأحد . وقد اتفق المحققون أن العلم بالسحر غير قبيح وغير محظور ، لأن العلم لذات العلم أمر شريف ، ولعموم قوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، ولأن السحر لو لم يكن معلوماً لما أمكن أن نفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجزة معجزة أمر واجب ، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب ، وهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً ، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً أو قبيحاً ؟ ١

والموقف الثانى الذى عرضه القرآن عن السحر ، هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف فى سورة الأعراف ويونس وطه والشعراء والقصص ، وغيرها ، وبحسبنا أن نذكر الآيات التى وردت فى سورة الأعراف عن هذا الموقف فهى تقول : « وجاء السحرة فرعون قائلوا إن لنا لأجراً إن كننا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم لمن المقربين ، قالوا يا موسى إنا أن تلقى وإنا أن نكون نحن الملقين ، قال ألقوا قلماً ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » (الآيات من ١١٣ - ١١٨) .

وقوله : « استرهبوهم » أى حاولوا إرهاب الناس ، وإلقاء الخوف

في قلوبهم ، بما فعلوه من تخيل ، وبما موهوا عليهم ، حتى خيل إلى الناس أن عصيهم وحبالهم تسمى ، وإنما الأمر في الحقيقة تلبيس واحتيال .

ولعل من أدق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة ، ما جاء في سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة : « قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى » (الآية ٦١) . وقول القرآن بعد ذلك : « إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا مَّاجِرًا ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى » (الآية ٦٩) . وقوله في سورة يونس عن السحرة مع موسى : « فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى : مَا جِئْتُمْ بِهِ السُّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطَهُ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » (الآيات ٨١ ، ٨٢) .